

التفسير المحرر 11-10111-1.0

رَضِيَ الْمُنَافِقُونَ الْمُسْتَأْذِنُونَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ أَنْ يَكُونُوا فِي مَنَازِلِهِمْ مَعَ النِّسَاءِ! وَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ بِلَا غُذْرٍ، فَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَوَاعِظَ اللَّهِ، وَأَنَّ الْجِهَادَ خَيْرٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

لَكِنِ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، قَدْ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ بِبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ وَقَاتِلُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ لَيْسُوا كَالْمُنَافِقِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ. وَالرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ؛ لَهُمُ النَّعْمُ الْكَثِيرَةُ الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ ظَفَرُوا بِمَا طَلَبُوا مِنَ النَّعِيمِ.

هَيَّا اللَّهُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَمَبَانِيهَا الْأَنْهَارُ، لَا يَبْشِنَ فِيهَا، لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا أَبَدًا. وَذَلِكَ هُوَ النَّجَاةُ الْعَظِيمَةُ، وَالظَّفَرُ الْكَبِيرُ.

وَأَتَى الْمُعْتَذِرُونَ مِنْ سَكَّانِ الْبُوَادِي الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؛ لِيَأْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، وَقَعَدَ عَنِ الْمَجِيءِ إِلَى النَّبِيِّ لِلْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ الْأَعْرَابُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي دَعْوَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ الْمُقْتَضِي لِلْخُرُوجِ لِلْجِهَادِ، سَيُصِيبُ الْكَافِرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَذَابٌ مُؤَلِّمٌ.

لَيْسَ عَلَى ضَعْفَاءِ الْأَبْدَانِ، الْعَاجِزِينَ عَنِ الْخُرُوجِ لِلْقِتَالِ، وَلَا عَلَى الْمَرْضَى الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْجِهَادِ، وَلَا عَلَى الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَالًا يَتَجَهَّزُونَ بِهِ- إِثْمٌ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ، إِذَا أَخْلَصُوا إِيْمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَقَصَدَهُمْ فِي حَالِ قُعودِهِمْ، وَبَذَلُوا جُهدَهُمْ فِي نُصرةِ الْإِسْلَامِ، وَنَفَعِ الْمُسْلِمِينَ، لَيْسَ عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ طَرِيقٍ إِلَى مُوَاحَذَتِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ، وَاللَّهُ

سَاتِرُ ذُنُوبِ الْمُحْسِنِينَ، وَمُتَجَاوِزٌ عَنْ مُوَآخَذَتِهِمْ بِهَا، رَحِيمٌ بِهِمْ
فَلَا يَعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا، بَلْ يُثَبِّتُهُمْ ثَوَابَ الْقَادِرِينَ الْعَامِلِينَ.
وَلَا عَقُوبَةَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا أَتَوْكَ -يَا مُحَمَّدُ- يَسْأَلُونَكَ مَا
يَرْكَبُونَ عَلَيْهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قُلْتَ لَهُمْ مُعْتَذِرًا: لَا أَجِدُ مَا
تُرَكَّبُونَ عَلَيْهِ، فَانصَرَفُوا مِنْ عِنْدِكَ وَهُمْ يَبْكُونَ مِنَ الْحَزَنِ عَلَى
عَدَمِ تَوْفَرٍ مَا يَتَجَهَّزُونَ بِهِ لِلْجِهَادِ.

أَمَّا الْعُقُوبَةُ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ فِي
التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ قَادِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَكَ
لِلْقِتَالِ، رَضِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ بِالْقُعُودِ فِي بَيوتِهِمْ مَعَ النِّسَاءِ
اللَّاتِي لَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ الْجِهَادُ، وَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ
عُقُوبَةً لَهُمْ، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ سُوءَ عَاقِبَةِ تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ عَاجِلًا
وَأَجَلًا، وَلَا مَا يَقُوتُهُمْ بِذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ الْمُنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ بِمَا عَذَرَ إِذَا
رَجَعْتُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِلَيْهِمْ مِنْ سَفَرِكُمْ وَجِهَادِكُمْ، قُلْ لَهُمْ -يَا
مُحَمَّدُ-: لَا تَعْتَذِرُوا إِلَيْنَا؛ إِذْ لَنْ نَصَدِّقَكُمْ فِي اعْتِذَارِكُمُ الْكَاذِبِ،
قَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِأَسْرَارِكُمْ، وَعَلِمْنَا كَذِبَكُمْ فِي اعْتِذَارِكُمْ، وَسِيرَى
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْمَالَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُظْهِرُ صِدْقَكُمْ أَوْ كَذِبَكُمْ فِي
التَّوْبَةِ مِنَ النَّفَاقِ، ثُمَّ تُرْجَعُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ
سِرٍّ وَعَلَانِيَةٍ، وَظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، فَيُخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي
الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

سَيَحْلِفُ الْمُنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ، بِاللَّهِ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِذَا
رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ: إِنَّهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا الْخُرُوجَ مَعَكُمْ
لِلْجِهَادِ؛ لِتَنَرُّكُوا تَأْنِيهِمْ وَمَعَاتِيَتِهِمْ! فَاتَرُّكُوا تَأْنِيهِمْ وَلَوْ مَعَهُمْ؛
اِحْتِقَارًا وَإِهَانَةً لَهُمْ، لَا مُسَامَحَةَ وَعَفْوًا؛ لِأَنَّهُمْ نَجَسٌ وَقَذْرٌ، خَبِيثَةٌ

بَوَاطِنُهُمْ، وَقَبِيحَةُ أَعْمَالِهِمْ، وَمَصِيرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَارُ جَهَنَّمَ؛
مَجَازَةً لَهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا.

يَحْلِفُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِالْكَذِبِ؛ مِنْ
أَجْلِ أَنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَتَسْتَدِيمُوا مُعَامَلَتَهُمُ السَّابِقَةَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ
يُذْنِبُوا! فَإِنْ تَرْضَوْا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَرِضَاكُمْ
عَنْهُمْ لَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

سُكَّانُ الْبَوَادِي أَشَدُّ كُفْرًا بِاللَّهِ، وَأَشَدُّ نِفَاقًا مِنْ كَفَّارٍ وَمُنَافِقِي
أَهْلِ الْحَضَرِ فِي الْمَدِينِ وَالْقَرْيِ، وَالْأَعْرَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى بِأَلَّا
يَعْلَمُوا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَالشَّرَائِعَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِخَلْقِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ وَمُجَازَاتِهِمْ، فَيَضَعُ كُلَّ
شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

وَمِنْ سُكَّانِ الْبَوَادِي مَنْ يَعُدُّ مَا يُنْفِقُهُ فِي الْخَيْرِ غُرْمًا وَنَقْصًا
وْخَسَارَةً، فَيُنْفِقُ مَا يُنْفِقُ مُكْرَهًا لَا يَرْجُو ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى،
وَمِنْ الْأَعْرَابِ مَنْ يَنْتَظِرُ أَنْ تَحُلَّ بِكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ-
الْمَصَائِبُ، وَغَلْبَةُ الْأَعْدَاءِ عَلَيْكُمْ! جَعَلَ اللَّهُ عَلَى الْأَعْرَابِ
الْمُنَافِقِينَ -وَحَدَّاهُمْ- الْمَصَائِبَ الَّتِي تَسُوُّهُمْ، وَنَزُولَ الْمَكْرُوهِ
بِهِمْ لَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ مِنْ
الْأَعْرَابِ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، عَلِيمٌ بِبَوَاطِنِهِمْ، عَلِيمٌ بِتَدْبِيرِهِمْ.

وَمِنْ سُكَّانِ الْبَوَادِي مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَبِیَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا
فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَيَحْتَسِبُ مَا يُنْفِقُهُ فِي الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ،
يَرْجُو بِهِ الْقُرْبَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَبْتَغُونَ أَيْضًا دَعَاءَ
الرَّسُولِ لَهُمْ عِنْدَ أَخْذِهِ صَدَقَاتِهِمْ، أَلَا إِنَّ صَلَوَاتِ الرَّسُولِ قُرْبَةٌ

عظيمة لهم، تقربهم إلى الله تعالى، سيدخل الله هؤلاء الأعراب المؤمنين في جملة عباده المرحومين أصحاب الجنة، إن الله غفورٌ لذنوبهم، رحيمٌ بهم في الدنيا والآخرة، فلا يعذبهم، بل يفيض عليهم نعمه، ويوفقهم للخير، ويثيبهم عليه.

وأصحاب محمد الذين سبقوا المسلمين أولاً إلى الإيمان، من المهاجرين، ومن الأنصار، والتابعون للسابقين من المهاجرين والأنصار، الذين سلكوا طريقهم المستقيم في الإيمان، والعمل الصالح، رضي الله عن الصحابة السابقين، والتابعين لهم بإحسان، لما أطاعوه، ورضوا هم عن الله؛ لما أنعم عليهم في الدنيا، وأثابهم في الآخرة، وهياً لهم جنات في الدار الآخرة تجري تحت أشجارها وغرورها وقصورها الأنهار، لا يثين فيها على الدوام بلا انتهاء، وذلك أعظم فوزٍ يحصل به كلٌ مرغوب، ويدفع به كلٌ محذور.

ومن سكان البوادي الذين حول مدينتكم -أيها المسلمون- منافقون، ومن أهل المدينة النبوية منافقون تمرنوا على النفاق، حتى أصبح سجية لهم، ومهروا في إتقانه، فلا يشعُر به الآخرون، واستمروا عليه، ولم يتوبوا، لا تعلمهم -يا محمد-، ولكن نحن نعلمهم، سنعذبهم في الدنيا وفي القبر، ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيبهم مرتين إلى عذابٍ عظيم في نار جهنم.

وقومٌ آخرون أقرؤا بذنوبهم بتخلفهم عن الجهاد مع رسول الله في غزوة تبوك، جمعوا عملاً صالحاً بالتوبة وغيرها من الطاعات، وعملاً سيئاً بالتخلف عن الجهاد وغير ذلك من المعاصي والسيئات، سيقبل الله توبة أولئك الذين اعترفوا

بذنوبهم، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَسْتُرُ ذُنُوبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُوَآخَذَتِهِمْ بِهَا، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَلَا يُعَذِّبُهُمْ بِهَا.

خُذْ -يا مُحَمَّدٌ- مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ صَدَقَةً تُطَهِّرُ هُمْ مِنْ ذَنْسِ ذُنُوبِهِمْ، وَتُنْمِي أَمْوَالَهُمْ، وَتَزِيدُ فِي أَخْلَاقِهِمُ الْحَسَنَةَ، وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةَ، وَفِي ثَوَابِهِمُ الدُّنْيَوِيَّ وَالْآخِرَوِيَّ، وَادْعُ لِلْمُسْلِمِينَ عِنْدَ أَخْذِكَ صَدَقَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ دُعَاكَ لَهُمْ طُمَأْنِينَةً، وَرَاحَةً لِقُلُوبِهِمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِ عِبَادِهِ، مُجِيبٌ لِدُعَائِهِمْ، عَلِيمٌ بِنِّيَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ التَّائِبِينَ، وَيَقْبَلُ الصَّدَقَاتِ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا كَانَتْ طَيِّبَةً خَالِصَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ وَأَنَّ اللَّهَ كَثِيرُ التَّوْبَةِ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَغْفُو عَمَّنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَلَوْ تَكَرَّرَ مِنْهُ الذَّنْبُ مَرَارًا، وَاسِعَ الرَّحْمَةِ بِالتَّائِبِينَ، فَلَا يُعَاقِبُهُمْ بَلْ يَنْيِيهِمْ؟

وَقُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: اْعْمَلُوا؛ فَسَيَرَى اللَّهُ أَعْمَالَكُمْ كُلَّهَا؛ ظَاهِرَهَا وَخَفِيَّهَا، فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، وَيُرَى رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ مَا يُطْلِعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهَا، فَيَشْهَدُونَ عَلَيْكُمْ بِالْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَسَتُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ مَا غَابَ وَمَا يُشَاهَدُ، فَيَعْلَمُ سَرَائِرَكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ، فَيُخْبِرُكُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

وَمِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَوْمٌ آخَرُونَ مُؤَخَّرَ حُكْمِهِمْ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ؛ إِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِذنُوبِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ يَوْفِّقَهُمُ لِلتَّوْبَةِ فَيَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِأَحْوَالِ هَذَا الْفَرِيقِ وَنِّيَاتِهِ، وَبِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عُقُوبَةٍ أَوْ

عَفْوٍ، حَكِيمٌ فِي حُكْمِهِ فِيهِمْ، وَفِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَيَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

وَمِنْهُمْ -أَي: الْمُنَافِقِينَ- الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدًا فِي الْمَدِينَةِ؛ مُضَارَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِمَسْجِدِهِمُ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَكُفْرًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ أَجْلِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَصِلِي بَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدٍ آخَرَ، فَيَتَفَرَّقُوا وَيَخْتَلِفُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَيَبْنُوهُ كَذَلِكَ إِعْدَادًا وَانْتِظَارًا وَتَرْقُبًا لِمَجِيءِ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ، وَسِيَحْلِفُ لَكُمْ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ الضَّرَارِ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا بِنَائِهِ إِلَّا الْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ وَالرَّفَقَ بِهِمْ؛ إِحْسَانًا إِلَى الضُّعَفَاءِ وَالْعَاجِزِينَ مِنْهُمْ، بِجَعْلِهِمْ مَسْجِدَ الضَّرَارِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهِ! وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فِي حَلْفِهِمْ ذَلِكَ.

لَا تُصَلِّ -يَا مُحَمَّدٌ- فِي مَسْجِدِ الْمُنَافِقِينَ مَا عَشْتُمْ أَبَدًا، لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ابْتَدَأَ بَأَنُوهُ فِي تَأْسِيسِهِ - وَهُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ، وَمِثْلُهُ بَلْ أَوْلَى مِنْهُ فِي الْحُكْمِ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ - أَوْلَى بِأَنْ تَقُومَ فِيهِ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ، فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ رِجَالٌ مِنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا مِنَ النَّجَاسَاتِ وَمِنَ الذُّنُوبِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ الْمُبَالِغِينَ فِي الطَّهَارَةِ مِنَ النَّجَاسَاتِ، وَمِنَ السَّيِّئَاتِ.

أَيُّ الْبَانِينَ خَيْرٌ؛ مَنْ أُسِّسَ بِنَاءَ مَسْجِدٍ مُتَّقِيًا لِلَّهِ، مُخْلِصًا لَهُ، طَالِبًا رِضَاهُ، أَمْ مَنْ أُسِّسَ بِنَاءَ مَسْجِدٍ بِنِفَاقٍ وَكُفْرٍ وَضَلَالٍ، فَهُوَ كَمَنْ يَبْنِي بِنَاءً عَلَى طَرَفِ حُفْرَةٍ يُوشِكُ أَنْ تَنْهَارَ بِمَا بُنِيَ عَلَيْهَا، فَانْهَارَ الْجُرْفُ بِالْبُنْيَانِ وَالْبَانِي جَمِيعًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟! وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ الضَّرَارِ، وَلَا يُوَفِّقُ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ

يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِالْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ، لَا يَوْقِفُهُمْ لِمَا فِيهِ مَصَالِحُ دِينِهِمْ
وَدُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَتْهُمْ، مَا دَامُوا مُقِيمِينَ عَلَى ظُلْمِهِمْ.

لَا يَزَالُ مَسْجِدُ الضَّرَارِ الَّذِي بَنَاهُ الْمُنَافِقُونَ يُورِثُهُمْ نِفَاقًا فِي
قُلُوبِهِمْ، وَشُكًّا فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّى تَتَصَدَّعَ قُلُوبُهُمْ فَيَمُوتُوا عَلَى
شُكِّهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِأَحْوَالِ
الْمُنَافِقِينَ، فَيَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ أُمُورُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، حَكِيمٌ يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ لِيُقَاتِلُوا بِهَا الْكُفَّارَ،
وَاشْتَرَى أَمْوَالَهُمْ لِيَبْدُلُوهَا فِي جِهَادِهِمْ، وَجَعَلَ ثَمَنَ تَقْدِيمِهِمْ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، يُقَاتِلُ
الْمُؤْمِنُونَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنُصْرَةِ دِينِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَقْتُلُوا الْكُفَّارَ،
أَوْ يَقْتُلَهُمُ الْكُفَّارُ، فَسَوَاءٌ قَتَلُوا أَوْ قُتِلُوا فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَعَدًّا
عَلَى اللَّهِ ثَابِتًا مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالْقُرْآنِ أَنَّهُ سَيُوفِّي
الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ، فَيَدْخِلُهُمْ جَنَّتهُ، وَلَا أَحَدٌ
أَحْسَنُ وَفَاءً بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ صَادِقٌ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ،
فَاطْهَرُوا السُّرُورَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ- وَافْرَحُوا بِهَذَا
الْبَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ اللَّهَ، وَهَذَا الْبَيْعُ هُوَ النَّجَاةُ الْعَظِيمَةُ، وَالظَّفَرُ
الْكَبِيرُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ.

الَّذِينَ اشْتَرَى اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، هُمُ الرَّاغِبُونَ مِنَ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ، الَّذِينَ ذَلُّوا لِلَّهِ وَأَطَاعُوهُ؛ مُحِبَّةً لَهُ،
وَاجْتِهَادًا فِي عِبَادَتِهِ وَخُدَّةِ، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ
أَحْوَالِهِمْ، الصَّائِمُونَ، الْمُصَلُّونَ الرَّائِعُونَ وَالسَّاجِدُونَ فِي
صَلَوَاتِهِمُ الْمَكْتُوبَةِ وَالْمَنْدُوبَةِ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِكُلِّ مَا أَمَرَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ كُلِّ مَا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ،

والعالمون بأمر الله ونهيه، الَّذِينَ لَا يُضَيِّعُونَ شَيْئًا مِنْ أَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ، وَبَشِّرْ -يا مُحَمَّدُ- جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، بِكُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ما ينبغي للنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ لِلَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَقَارِبِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لِلنَّبِيِّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ الْخَالِدُونَ فِيهَا؛ بِمَوْتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ.

وما وَقَعَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، إِلَّا بِسَبَبٍ وَعَدِهِ لَهُ بِأَنَّهُ سَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، فَلَمَّا عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ أَبَاهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ، تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَتَرَكَ الاسْتِغْفَارَ لَهُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَثِيرُ التَّضَرُّعِ وَالِدُّعَاءِ لِلَّهِ؛ خَوْفًا وَحُزْنًا، صَابِرٌ عَلَى أذى النَّاسِ لَهُ، ذُو رَحْمَةٍ بِهِمْ، وَصَفَحَ عَمَّا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ.

وليس مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَلَا مِنْ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ أَنْ يُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ هِدَايَتِهِ لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُ، فَإِذَا بَيَّنَّ لَهُمْ وَلَمْ يَتَّقُوا اسْتَحَقُّوا إِضْلَالَهُ لَهُمْ، وَعِقَابَهُ عَلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلَا تَدْبِيرِهِ وَلَا تَشْرِيعِهِ، يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ، وَمَا لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ يَنْفَعُكُمْ، وَمَا لَكُمْ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ يَنْصُرُكُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْكُمْ مَا يَضُرُّكُمْ.

لَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْإِنَابَةَ إِلَى أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ، نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا، وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ الَّذِينَ أَطَاعُوا نَبِيَّهَ بِالْخُرُوجِ مَعَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي وَقْتِ الْعُسْرَةِ؛ بِسَبَبِ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَطُولِ السَّفَرِ،

وَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ وَالْمَاءِ، وَالطَّعَامِ وَالنَّفَقَةِ، تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَوْشَكَتْ قُلُوبُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنْ تَمِيلَ عَنِ الْحَقِّ، فَيَشْكُوا وَيَرْتَابُوا؛ بِسَبَبِ الْمَشَقَّةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي نَالَتْهُمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ الصَّحَابَةَ -الَّذِينَ كَادَتْ قُلُوبُهُمْ أَنْ تَرِيغَ- الْإِنَابَةَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَالرُّجُوعَ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ بِأَصْحَابِ نَبِيِّهِ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

وتاب الله على أصحاب النبي الثلاثة -وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع-، الَّذِينَ أُخْرَ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الْحُكْمُ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ، وَبَيَّتَ فِي شَأْنِهِمْ، حَتَّى إِذَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ مَعَ سَعَتِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِاعْتِزَالِ أَزْوَاجِهِمْ، وَمُنِعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، مَعَ إِعْرَاضِ النَّبِيِّ عَنْهُمْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ؛ بِسَبَبِ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ وَالْحُزَنِ الَّذِي أَصَابَهُمْ، وَأَيَقَنُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ؛ لَيْسَلُمُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، وَيَرْتَفِعَ عَنْهُمْ الْكَرْبُ وَالْبَلَاءُ، إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهِ، ثُمَّ وَفَّقَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ لِلتَّوْبَةِ؛ لِتَقَعَ مِنْهُمْ فَيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَقِيمُوا عَلَى طَاعَتِهِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ كَثِيرُ قَبُولِ التَّوْبَةِ، فَيُوفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِلتَّوْبَةِ، وَيَقْبَلُهَا مِنْهُمْ، وَاسِعُ الرَّحْمَةِ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اتَّقُوا اللَّهَ، بَامْتِنَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا تَتَخَلَّفُوا عَنْ صُحْبَتِهِمْ، وَاتَّبِعُوا سَبِيلَهُمْ، وَالزَّمُوا الصِّدْقَ؛ لِتَكُونُوا مَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

مَا كَانَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ سُكَّانِ مَدِينَةِ النَّبِيِّ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ سُكَّانِ الْبَوَادِي أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي

غَزْوَةِ تَبُوكَ، وما كان ينبغي لهم أن يترَفَّقوا بأنفسهم عن نفسِ النَّبِيِّ في صُحْبَتِهِ في الجهادِ، ويرضوا لأنفسهم بالراحَةِ، والنَّبِيُّ في تعبٍ ومَشَقَّةٍ! ما كان ينبغي لهم ذلك؛ لأنَّه لا يصيبُهم في الجهادِ من عطشٍ ولا تعبٍ، ولا يُصيبُهم من مجاعةٍ شديدةٍ في جهادهم لإِعلاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، ولا تَصِلُ أقدامُهم إلى أرضٍ يغضبُ الكُفَّارُ من وُصولهم إليها، ولا يُصيبون من الكُفَّارِ من شيءٍ قليلٍ أو كثيرٍ؛ من قتلٍ أو جراحٍ أو أسْرٍ، أو غنِمةٍ أو هزيمةٍ، إلَّا كَتَبَ اللَّهُ لهم بهذه الأعمالِ أَعْمالًا صالحةً وثوابًا جزيلاً؛ لأنَّهم مُحْسِنُونَ، وَاللَّهُ لا يتركُ إثابةَ مُحْسِنٍ في عبادةِ اللَّهِ، مُحْسِنٍ إلى عبادِ اللَّهِ.

ولا ينفِقُ الغازونَ في سبيلِ اللَّهِ نَفَقَةً صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً، ولا يُجاوزونَ في غَزْوهم واديًّا ذاهِبِينَ أو راجِعِينَ، إلَّا كَتَبَ لهم ثوابٌ ذلك؛ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ عليه كَأَحْسَنِ ما يَجْزِيهِم على أَحْسَنِ أَعْمالِهِم الَّتِي كانوا يَعْمَلونها.

وما ينبغي للمُؤْمِنِينَ أن ينفِروا كُلُّهم في وقتٍ واحدٍ للجهادِ في سبيلِ اللَّهِ، فهَلَّا نَفَرَ من كُلِّ قَبِيلَةٍ أو أَهْلِ مَدِينَةٍ جَماعَةٌ من المُسْلِمِينَ لِلقِتالِ، تحصُلُ بهم الكفايةُ؛ لِيَتَأَتَى لُجْمَةُ المُؤْمِنِينَ القاعِدِينَ تَعْلُمُ دينَ اللَّهِ، وَالتَّفَقُّهُ فيه، وَلِيَعْلَمَ القاعِدُونَ قومَهُم الَّذِينَ نفَروا إلى الغزوِ، إِذا رَجَعوا إِلَيْهِم، وَيُخَوِّفُوهم وَيَعْظُوهم؛ رِجاءُ أَنْ يَحذَرُوا عاقِبَةَ عَصيانِ اللَّهِ، وألَّا يَعْمَلُوا بِخِلافِ ما تَعَلَّمُوهُ.

يا أَيُّها المُؤْمِنُونَ، ابدؤوا في الغزوِ بِقتالِ الكُفَّارِ القَرِيبِينَ من دياركم، وَلِيَجِدِ الكُفَّارُ المُحارِبُونَ لَكُمْ شِدَّةً وخُشونَةً منكم عندَ قِتالِهِم، وأيقِنُوا أَنَّ اللَّهَ معكم بالتَّصَرُّعِ على أَعْدائِكُمْ إِنْ اتَّقَيْتُمُوهُ، بِامْتِثالِ أوامِرِهِ واجْتِنابِ نواهِيهِ، وَمِنَ ذَلِكَ تَقَوَاهُ في جِهادِكُمْ.

وَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ، فَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَقُولُ لِعَیْرِهِ؛ احْتِقَارًا لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ: أَتُكْمِ زَادَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ؟! فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَزَادَتْهُمْ السُّورَةُ - الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ - إِيْمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِمْ وَهُمْ فَرِحُونَ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَالْوَعْدِ بِالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفَاقٌ، فَزَادَتْهُمْ السُّورَةُ - الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ - كُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ، وَشَكًّا إِلَى شَكِّهِمْ، وَمَاتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، لَمْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ. أَوْ لَا يَرَى الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُهُمْ فِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ مَرَّةً، وَفِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ مَرَّتَيْنِ؟! ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ رَغْمَ الْبَلَاءِ الَّذِي يُصِيبُهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَا هُمْ يَتَّعِظُونَ فَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ!

وَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ فِيهَا فَضْحٌ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ، نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا خُفِيَّةٌ أَوْ بِالْإِشَارَةِ الْمُفْهِمَةِ: هَلْ يَرَاكُمْ أَحَدٌ إِذَا خَلَوْتُمْ، وَدَبَّرْتُمْ أُمُورَكُمْ، فَيَنْقُلُ كَلَامَكُمْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى أَسْرَارِنَا؟! صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُنَافِقِينَ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِتِلْكَ السُّورَةِ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَخَذَلَهُمْ وَأَضَلَّهُمْ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْهَمُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَكَبَّرُونَ عَنِ سَمَاعِ آيَاتِهِ وَالْعَمَلِ بِهَا.

لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْعَرَبُ - مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، عَرَبِيًّا مِنْكُمْ، تَعْرِفُونَ لُغَتَهُ وَنَسَبَهُ فِيكُمْ، وَحَالَهُ وَنُصَحَهُ لَكُمْ، يَشُقُّ عَلَيْهِ دُخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَيْكُمْ، وَلِحُوقِ الضَّرَرِ وَالْأَذَى بِكُمْ، وَهُوَ

حريصٌ على هدايتكم، وإيصالِ الخيرِ لكم في دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ،
شَدِيدُ الرَّقَّةِ وَالرَّفْقِ وَالشَّفَقَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ، شَدِيدُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.
فَإِنْ أَعْرَضَ الْكَفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ وَطَاعَتِكَ -
يَا مُحَمَّدٌ- فَقُلْ: يَكْفِينِي اللَّهُ جَمِيعَ مَا أَهَمَّنِي، وَهُوَ نَاصِرِي عَلَى
عَدُوِّي، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ
اعْتَمَدْتُ، وَإِلَيْهِ اسْتَنْدْتُ، وَفَوَّضْتُ جَمِيعَ أُمُورِي، وَهُوَ مَالِكُ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَخَالِقُهُ، وَمَالِكُ وَخَالِقُ جَمِيعِ مَا دُونَهُ مِنَ
الْمَخْلُوقَاتِ.

تُبَيِّنُ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمَقْطَعَةُ، إِعْجَازَ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهِرُ
عَجَزَ الْخَلْقِ عَنِ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ
الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا !

وَتِلْكَ الْآيَاتُ الرَّفِيعَةُ الشَّانُ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْمَحْكَمِ الْأَفَافِ
وَالْمَعَانِي، الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْأَحْكَامِ.

كَيْفَ يَتَعَجَّبُ كَفَّارُ قُرَيْشٍ وَكُفَّارُ الْعَرَبِ مِنْ إِيحَانِنَا الْقُرْآنَ
إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ، يُنْذِرُ جَمِيعَ النَّاسِ عِقَابَ اللَّهِ، عَلَى الْكُفْرِ بِهِ
وَمَعْصِيَتِهِ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ السَّعَادَةُ فِي
اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِمَا قَدَّمُوا مِنْ إِيمَانٍ وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ؟! وَقَالَ
الْكَافِرُونَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَسَاحِرٌ بِالْقُرْآنِ ظَاهِرُ السِّحْرِ.

إِنَّ رَبَّكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضَ فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ عَلَا وَارْتَفَعَ عَلَى عَرْشِهِ، يُدَبِّرُ أُمُورَ خَلْقِهِ، وَلَا
يَشْفَعُ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَدِنَ لَهُ، ذَلِكَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِأَفْرَادِ
الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، وَهُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ذَلِكَ بَتِلْكَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ؟!

إِلَى اللَّهِ وَخَذَهُ مَرَجُكُمْ جَمِيعًا - أَيُّهَا النَّاسُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا وَعْدٌ صَادِقٌ لَا يُخْلَفُ، إِنَّ اللَّهَ يَبْدَأُ إِنْشَاءَ الْخَلْقِ، مِنْ الْعَدَمِ، ثُمَّ يُعِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِئُثْبِتَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدَّمُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، بِالْعَدْلِ التَّامِ، وَأَمَّا الْكَفَّارُ فَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَاءٌ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

اللَّهُ هُوَ الَّذِي صَيَّرَ الشَّمْسَ مُضِيئَةً، وَصَيَّرَ الْقَمَرَ مُنِيرًا، وَقَدَّرَ اللَّهُ مَسِيرَ الْقَمَرِ فِي مَنَازِلَ، فَيَنْزِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَنَزَلًا مِنْهَا، وَهِيَ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، لَتَعْلَمُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَدَ السَّنَوَاتِ، وَحَسَابَ اللَّيَالِي وَالشُّهُورِ، لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ ذَلِكَ عَبَثًا وَبَاطِلًا، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ الْأَدْلَةَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ - إِذَا تَدَبَّرُواهَا - وَحَدَانِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتَهُ، وَأَثَارَ إِحْسَانِهِ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ.

إِنَّ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَخَلْفِ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ، وَفِي كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَأَدْلَةً عَلَى الْحَقِّ، لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ غَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَتَوَقَّعُونَ لِقَاءَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَخَافُونَ مِنْ لِقَائِهِ وَعِقَابِهِ، وَلَا يَطْمَعُونَ فِي لِقَائِهِ وَثَوَابِهِ، وَرَضُوا بِالدُّنْيَا، وَسَكَنُوا إِلَيْهَا، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَالنَّزِيلِيَّةِ مُعْرِضُونَ، فَلَا يَتَفَكَّرُونَ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ تَلِكْ صِفَاتُهُمْ، مَقَرُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ: النَّارُ؛ لَمَا كَسَبُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ؛ يَزِيدُهُمْ رَبُّهُمْ هُدًى إِلَى هُدَاهُمْ، وَيُرْشِدُهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى جَنَّتِهِ؛ بِسَبَبِ

إيمانهم، وتَجْري الأنهارُ مِنْ تحتِ غُرْفهم ومقاعِدهم وسُرُرهم في بساتين النعيم.

دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ قَوْلُهُمْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، أَي: نَنْزِلُكَ يَا اللَّهُ تَنْزِيهًا مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَتَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ: دُعَاءُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَخَاتِمَةُ دُعَائِهِمْ قَوْلُهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَي: جَمِيعُ الْمَحَامِدِ مُسْتَحَقَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ إِذَا دَعَوْا بِهِ، كَاسْتَعْجَالِهِمْ بِالْخَيْرِ، لَهَلَكُوا، فَتَنَرُّكَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي تَمَرُّدِهِمْ مُتَرَدِّدِينَ مُتَحَيِّرِينَ، لَا يَهْتَدُونَ.

وَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ ضَرَرٌ اجْتَهَدَ فِي دُعَاءِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ؛ سَوَاءً مُضْطَجِعًا عَلَى جَنْبِهِ، أَوْ قَاعِدًا، أَوْ قَائِمًا، فَإِذَا فُرِّجَ عَنْهُ، عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ أَوْ الْمَعَاصِي، وَنَسِيَ أَوْ تَنَاسَى ضُرَّهُ، وَلَمْ يَتَّعِظْ، وَلَمْ يَشْكُرْ، كَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ لِرَفْعِ مَا أَصَابَهُ. كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ الْمُجَاوِزِينَ الْحَدَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْأُمَمَ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- لَمَّا أَشْرَكَ أَهْلُهَا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِالْحَقِّ، وَقَدْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، فَلَمْ يَكُونُوا لِيَوْمِنَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ لَشِدَّةَ كُفْرِهِمْ، وَمُعَانَدَتِهِمْ، فَكَذَلِكَ نُهْلِكُ كُلَّ مُشْرِكٍ وَكَافِرٍ.

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ سَكَنًا فِي الْأَرْضِ، مِنْ بَعْدِ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا؛ لِنَنْظُرَ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ.

وَإِذَا قُرِئَ عَلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْوَاضِحَاتِ، قَالَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِالْبَعَثِ: ائْتِ -يَا مُحَمَّدُ- بِقُرْآنٍ آخَرَ لَيْسَ فِيهِ مَا نَكْرَهُ، أَوْ غَيِّرْ هَذَا الْقُرْآنَ بِنَفْسِكَ عَلَى مَا نُحِبُّ، فَقُلْ لَهُمْ: لَا يَحِقُّ أَنْ أُغَيِّرَهُ بِمَحْضِ رَأْيِي، وَاجْتِهَادِي، فَلَيْسَ لِي إِلَّا اتِّبَاعُ مَا يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيَّ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ خَالَفتُ أَمْرَ اللَّهِ، وَبَدَّلْتُ شَيْئًا مِنْ كِتَابِهِ، عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ الْأَهْوَالِ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لَهُؤُلَاءِ الْكُفَّارِ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ، وَلَمَّا أَعْلَمَكُم بِهِ، فَقَدْ أَقَمْتُ فِيكُمْ حِينًا طَوِيلًا مِنْ عُمْرِي قَبْلَ أَنْ يُوحَى الْقُرْآنُ إِلَيَّ، وَمَا جَرَّبْتُمْ عَلَيَّ كَذِبًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي لَسْتُ قَارِنًا أَوْ كَاتِبًا، ثُمَّ جِئْتُكُمْ بِالْقُرْآنِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ بِذَلِكَ أَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟

فَلَا أَحَدٌ أَشَدُّ كَذِبًا، مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَوْ كَذَبَ بِآيَاتِ كِتَابِهِ، إِنَّهُ لَا يَفُوزُ الْكَافِرُونَ.

وَيَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً، لَا تَضُرُّهُمْ، وَلَا تَنْفَعُهُمْ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ! فَقُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدُ-: أَهَذَا أَمْرٌ خَفِيَ عَلَى اللَّهِ، وَعَلِمْتُوهُ أَنْتُمْ؟ تَنْزَرُهُ اللَّهُ وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ.

كَانَ النَّاسُ مُجْتَمِعِينَ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، فَاخْتَلَفُوا، وَأَشْرَكَ بَعْضُهُمْ، وَلَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ إِمَهَالُهُ الْمُشْرِكِينَ وَالْعُصَاةَ، وَتَأْخِيرُ جَزَائِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لَحَكَمَ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ. وَيَقُولُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: هَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مُعْجَزَةً مِمَّا نَقْتَرِحُ عَلَيْهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ: أَنْزَالَ ذَلِكَ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، فَانْتَظِرُوا حُكْمَ اللَّهِ، بِعُقُوبَةِ الْمُبْطِلِ مِنَّا، وَنَصْرِ الْمُحَقِّ، إِنِّي مَعَكُمْ مِمَّنْ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ.

وَإِذَا فَرَّجْنَا عَنْ الْمُشْرِكِينَ مَا أَصَابَهُمْ، سَعَوْا بِكُلِّ حِيلَةٍ؛
لِإِبْطَالِ آيَاتِنَا. فَقُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: اللَّهُ أَعْجَلَ مَكْرًا -بِاسْتِدْرَاجِكُمْ
وَتَعْجِيلِ عُقُوبَتِكُمْ-، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكْتُبُونَ مَكْرَكُمْ وَيُحْصُونَ
أَعْمَالَكُمْ.

اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ؛ بِإِقْدَارِكُمْ عَلَى الْمَشْيِ عَلَى
أَقْدَامِكُمْ، وَبِمَا سَخَّرَهُ مِنَ الدَّوَابِّ لَكُمْ، وَيُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَحْرِ فِي
السُّفُنِ الَّتِي يَسَّرَ صُنْعَهَا، حَتَّى إِذَا رَكِبْتُمْ فِيهَا وَجَرَّتْ بِكُمْ؛ بِسَبَبِ
رِيحٍ لَيِّنَةٍ الْهُبوبِ، وَفَرَحَ بِهَا رُكَّابُ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ
جَاءَتِ السَّفِينَةُ رِيحٌ شَدِيدَةُ الْهُبوبِ، وَجَاءَ رُكَّابُهَا مَوْجُ الْبَحْرِ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ، وَأَيَقُنُوا أَنَّ الْهَلَاكَ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ سَيَغْرَقُونَ،
فَدَعَوْا اللَّهَ وَحْدَهُ أَنْ يُنَجِّيَهُمْ، قَائِلِينَ: وَاللَّهِ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ
الشَّدَةِ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمِكَ، وَلَا نُشْرِكَ بِكَ.

فَلَمَّا أَنْقَذَ اللَّهُ رُكَّابَ السَّفِينَةِ، أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ
وَالظُّلْمِ وَالْمَعَاصِي! فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا وَبَالَ بَغْيِكُمْ هَذَا عَائِدٌ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ، تَتَمَتَّعُونَ بِهِ مُدَّةَ حَيَاتِكُمْ الْفَانِيَةِ، ثُمَّ إِلَيْنَا مَصِيرُكُمْ بَعْدَ
مَوْتِكُمْ، فَنُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَنُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

إِنَّمَا مَثَلُ زِينَةِ الدُّنْيَا فِي سُرْعَةِ زَوَالِهَا، كَمَطَرٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ
السَّمَاءِ، فَفَتَبَّتْ بِهِ أَنْوَاعٌ مِنَ نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ مُتَدَاخِلٌ بَعْضُهَا فِي
بَعْضٍ مِمَّا يَأْكُلُهُ النَّاسُ، وَمِمَّا تَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ، حَتَّى إِذَا ظَهَرَ حُسْنُ
الْأَرْضِ بِالْوَانِ النَّبَاتِ، وَتَزَيَّنَتْ بِأَنْوَاعِ الْحُبُوبِ وَالثَّمَارِ
وَالْأَزْهَارِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، وَأَيَقُنَ الَّذِينَ زَرَعُوهَا
وَعَرَسُوهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى حَصْدِ زَرْعِهَا، وَقَطْفِ ثَمَارِهَا،
جَاءَ الْأَرْضَ قِصَاؤُنَا بِإِهْلَاكِ نَبَاتِهَا فَجَاءَ؛ إِمَّا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا،
فَصَيَّرْنَا النَّبَاتَ مَقْلُوعًا هَالِكًا، كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ قَائِمًا عَلَى الْأَرْضِ

يُرِيْنُهَا بِجَمَالِهِ! وَبِمِثْلِ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ الْبَدِيعِ نَبِيْنُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ فَيَعْتَبِرُونَ

وَاللَّهُ يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَى دُخُولِ جَنَّتِهِ السَّالِمَةِ مِنَ الْآفَاتِ،
فَاطْلُبُوهَا بِطَاعَتِهِ، وَلَا تَطْلُبُوا الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا مَلِئَةٌ بِالْآفَاتِ
وَالنَّكَاتِ، وَمَصِيرُهَا إِلَى فَنَاءٍ، وَاللَّهُ يُرْشِدُ وَيُوقِقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ، وَأَحْسَنُوا فِي طَاعَةِ
الرَّحْمَنِ، عَلَى وَجْهِ الْمُرَاقَبَةِ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَحْسَنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ
تَعَالَى؛ هَؤُلَاءِ لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَلَهُمْ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِهَا
النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَغْشَى وَجْوهَ أَهْلِ الْجَنَّةِ غُبَارٌ
وَلَا كَابَةٌ، وَلَا هَوَانٌ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، مَاكِثُونَ فِيهَا أَبَدًا.

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ، فَعَصَوْا وَكَفَرُوا بِالْحَقِّ، فَلَهُمْ جَزَاءٌ
يَسُوءُهُمْ، دُونَ زِيَادَةٍ، وَيَغْشَاهُمْ ذُلٌّ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَانِعٌ مِنْ
سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ، كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ وَجُوهُهُمْ مِنْ شِدَّةِ سَوَادِهَا أَجْزَاءٌ
مِنَ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ! أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ، مَاكِثُونَ فِيهَا أَبَدًا.

وَاذْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ - يَوْمَ نَجْمَعُ كُلَّ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ نَقُولُ
لِلْمُشْرِكِينَ: الزَّمُوا مَكَانَكُمْ، أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّخَذْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ،
فَفَرَّقْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْبُودِيهِمْ، وَقَالَ الْمَعْبُودُونَ لِلْمُشْرِكِينَ: مَا
كُنْتُمْ تَعْبُدُونَنَا فِي الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا عَبَدْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ وَشَيَاطِينَكُمْ الَّذِينَ
أَمَرُوكُمْ بِعِبَادَتِنَا.

قَالَ الْمَعْبُودُونَ لِمَنْ عَبَدُوهُمْ: فَحَسَبْنَا اللَّهَ شَاهِدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ؛
فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّكُمْ عَبَدْتُمُونَا مِنْ غَيْرِ أَنْ نَأْمُرَكُمْ، وَمِنْ دُونِ أَنْ
نَشْعُرَ بِعِبَادَتِكُمْ لَنَا.

في ذلك المَقَامِ من أرضِ المَحْشَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتَجِدُهُ مَكْتُوبًا، وَرَدَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُتَوَلَّى أَمْرَهُمْ، الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، دُونَ مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ مِنْ آلِهَةٍ، وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَأَنْهُمْ يَنْفَعُونَهُمْ، وَيَدْفَعُونَ عَنْهُمْ الضَّرَّ، وَيُقَرِّبُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: مَنْ الَّذِي يَرْزُقُكُمُ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَرْزُقُكُمُ مِنَ الْأَرْضِ الحبوبَ وَالثَّمَارَ وَالبُقُولَ وَالمَعَادِينَ؟ أَمْ مَنْ الَّذِي يَمْلِكُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الشَّيْءَ الْحَيَّ مِنَ الشَّيْءِ الْمَيِّتِ، كَمَا يُخْرِجُ الزَّرْعَ مِنَ الْحَبَّةِ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الشَّيْءَ الْمَيِّتَ مِنَ الشَّيْءِ الْحَيِّ، كَمَا يُخْرِجُ الْحَبَّةَ مِنَ الزَّرْعِ؟ وَمَنْ يُقَدِّرُ أَمْرَ الْخَلَائِقِ، وَيتَصَرَّفُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمَا يَشَاءُ؟ فَسَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: أَفَلَا تَتَّقُونَ سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ؛ فَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ؟

فهذا الَّذِي يَفْعَلُ تِلْكَ الْأَفْعَالَ الْعَظِيمَةَ؛ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَهُوَ رَبُّكُمُ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، فَأَيُّ شَيْءٍ غَيْرِ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟ فَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟ كَذَلِكَ وَجِبَ قَضَاءُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ السَّابِقُ الصَّادِرُ عَنْ عِلْمِهِ، عَلَى الَّذِينَ خَرَجُوا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَأَنَّهُمْ مُعَذِّبُونَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: هَلْ مِمَّنْ رَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ مَنْ يَبْتَدِئُ خَلْقَ شَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ إِذَا مَاتَ يُعِيدُهُ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى؟ قُلْ لَهُمْ: اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: هل مِنْ آلِهَتِكُمْ مَنْ يُرْشِدُ وَيُوقِّعُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ؟ قُلْ لَهُمْ: اللَّهُ وَحْدَهُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَهَلِ اللَّهُ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، أَمْ شُرَكَائُهُمُ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَهْتَدُونَ مَنْ يَعْبُدُهُمْ، إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُمْ غَيْرُهُمْ؟ فَمَا بِالْكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- تَعْبُدُونَ المَخْلُوقَ العَاجِزَ، وَتَتْرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ الَّذِي يَهْدِيكُمْ؟! كَيْفَ تُسَاوُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ فِي الْعِبَادَةِ؟

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي إِشْرَاكِهِمْ بِاللَّهِ إِلَّا مُجَرَّدَ ظَنٍّ، دُونَ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّتِهِ، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُوصِلُ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَى الْيَقِينِ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ الْمُشْرِكُونَ، وَسَيُجَازِيهِمْ

مَا يَتَّبِعُونَ لِهَذَا الْقُرْآنِ أَنْ يَخْتَلِفَهُ أَحَدٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مُصَدِّقًا لِلْكِتَابِ السَّابِقَةِ، وَتَفْصِيلًا لِلْعَقَائِدِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُفْتَرَى، وَأَنَّهُ لَا رَيْبَ فِي كَوْنِهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَمْ يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: اخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ الْقُرْآنَ مِنْ نَفْسِهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ -يا مُحَمَّدٌ-: إِنْ كُنْتُ قَدْ افْتَرَيْتُهُ فَأَنْتُمْ عَرَبٌ مِثْلِي، فَأَتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جِنْسِ الْقُرْآنِ، وَادْعُوا مَنْ قَدَرْتُمْ عَلَى دَعْوَتِهِمْ؛ لِيُعِينُوكُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ أَنِّي افْتَرَيْتُ الْقُرْآنَ!

بَلْ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ الَّذِي لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِ مَا فِيهِ، وَلَمْ يَأْتِهِمْ بَعْدَ حَقِيقَتِهِ مَا وَاعِدُوا فِيهِ، مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ. كَذَلِكَ كَذَّبَ مُشْرِكُوا الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ بِالْحَقِّ، فَانْظُرْ -يا مُحَمَّدٌ- كَيْفَ كَانَتْ نَهَائِيَّتُهُمْ؛ أَهْلَكْنَاهُمْ، وَسَنَهْلِكُ أَمْثَالَهُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ

وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ سَيُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ، وَيَتُوبُ مِنَ الْكُفْرِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَى كُفْرِهِ حَتَّى يَمُوتَ،
وَرَبُّكَ - يَا مُحَمَّدٌ - أَعْلَمُ بِالْمُكَذِّبِينَ، وَمَنْ يَبْقَى مِنْهُمْ مُصِرًّا عَلَى
كُفْرِهِ.

وَإِنْ كَذَّبَكَ الْمُشْرِكُونَ - يَا مُحَمَّدٌ -، فَقُلْ لَهُمْ: لِي عَمَلِي الَّذِي
سُجِّزَ لِي بِهِ، وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ الَّذِي سُجِّزَ لَكُمْ بِهِ، لَا
تُؤَاخِذُونَ بِجَرِيرَةٍ أَعْمَالِي، وَلَا أُوَاخِذُ بِجَرِيرَةِ أَعْمَالِكُمْ.

وَمِنَ الْكُفَّارِ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَى تِلَاوَتِكَ لِلْقُرْآنِ وَحَدِيثِكَ - يَا
مُحَمَّدٌ - وَقُلُوبُهُمْ غَافِلَةٌ، فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِسَمَاعِهِمْ هَذَا، أَفَأَنْتَ
تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَ الصَّمَّ، خُصُوصًا إِذَا كَانُوا بِلَا عَقْلِ؟! فَكَذَلِكَ
لَا تَقْدِرُ عَلَى جَعْلِ الْكُفَّارِ يَنْتَفِعُونَ بِالسَّمَاعِ مِنْكَ.

وَمِنَ الْكُفَّارِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ - يَا مُحَمَّدٌ - وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ
النَّظَرِ، أَفَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرْشِدَ الْعُمَى الَّذِينَ لَا بَصَرَ لَهُمْ،
وَخُصُوصًا إِذَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ الْبَصِيرَةَ؟! فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى
هُدَايَةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ رُؤْيَا الْحَقِّ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّونَ؛ فَلَا يَسْلُبُ أَحَدًا الْإِيمَانَ
أَوْ يَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى إِلَّا إِذَا اسْتَحَقَّ ذَلِكَ، وَلَا يُعَاقِبُ مَنْ لَمْ
يَسْتَوْجِبِ الْعِقَابَ، وَلَا يَزِيدُ فِي سَيِّئَاتِ أَحَدٍ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ
حَسَنَاتِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّ النَّاسَ هُمْ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، بِكُفْرِهِمْ
بِاللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ، فَيَسْتَحِقُّونَ عِقَابَهُ.

وَيَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَسْتَفْلُونَ مُدَّةَ مُكَثِّهِمْ
فِي الدُّنْيَا، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعِيشُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ! وَيَعْرِفُ النَّاسُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْرِفُونَ بَعْضُهُمْ، وَقَدْ خَسِرَ

ثَوَابَ اللَّهِ وَجَنَّتْهُ الْجَادِدُونَ لِلِقَاءِ اللَّهِ، فَاسْتَحَقُّوا دُخُولَ النَّارِ، وَمَا كَانُوا مُوقِّعِينَ بِتَكْذِيبِهِمْ بِالْبَعْثِ.

وَسَوَاءٌ عَجَّلْنَا عُقُوبَةَ الْكُفَّارِ فِي حَيَاتِكَ -يَا مُحَمَّدٌ- فَتَرَاهَا، أَوْ نُمَتِّكَ قَبْلَ أَنْ تُرِيكَ ذَلِكَ؛ فَمَصِيرُهُمْ إِلَيْنَا بِكُلِّ حَالٍ، ثُمَّ اللَّهُ شَاهِدٌ عَلَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَسُجَّازِيهِمْ بِهِ.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ؛ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ، فَإِذَا أَتَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ، حَكَمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ.

وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: مَتَى سَيَأْتِينَا عَذَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ -أَيُّهَا الرَّسُولُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ- صَادِقِينَ فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ؟

قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: لَا أَقْدِرُ عَلَى ضَرْفِ نَفْسِي وَلَا نَفْعِهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَيْهِ، وَلَسْتُ قَادِرًا عَلَى الْإِتْيَانِ بِمَا تَسْأَلُونَنِي مِنَ الْعَذَابِ، وَلَكِنْ قَوْمٌ مَحْدُودٌ قَدْرُهُ اللَّهُ لَانْقِضَاءِ حَيَاتِهِمْ، فَإِذَا جَاءَ هَذَا الْوَقْتُ، فَلَا يُؤَخَّرُونَ وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَنْهُ سَاعَةً.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ لَيْلًا، وَقَدْ تَوَمَّكُم، أَوْ نَهَارًا، وَقَدْ اشْتَغَلَكُم بِمَعَاشِكُمْ، أَيْ شَيْءٍ يَسْتَعْجِلُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَذَابِ سِوَى الشَّرِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهُ؟

إِذَا نَزَلَ عَذَابُ اللَّهِ بِكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- أَمَنْتُمْ بِهِ حِينَ لَا يَنْفَعُكُم الْإِيمَانُ؟! أَلَا أَنْ تُؤْمِنُونَ وَقَدْ كُنْتُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْعَذَابِ تَسْتَعْجِلُونَهُ تَكْذِيبًا بِهِ؟

ثُمَّ يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ: تَجَرَّعُوا الْعَذَابَ الدَّائِمَ، وَهَلْ يُجَازِيكُمُ اللَّهُ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْمَعَاصِي؟

وَيَسْتَخْبِرُكَ الْمُشْرِكُونَ - يَا مُحَمَّدٌ- فَيَقُولُونَ: أَحَقُّ مَا تَعِدُنَا بِهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ: نَعَمْ، وَأَقْسَمُ بِرَبِّي إِنَّ مَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ وَاقِعٌ، وَمَا أَنْتُمْ بِفَائِتِي اللَّهَ؛ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْكُمْ.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ كَفَرَتْ بِاللَّهِ، جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ، لَبَدَّلْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - لَوْ كَانَ يُقْبَلُ مِنْهَا - لَتَقَنَّدِي بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَأَخْفَى الْكُفَّارَ النَّدَمَ عَلَى كُفْرِهِمْ حِينَ رَأَوْا عَذَابَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ.

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ وَحْدَهُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا مَانِعَ لَهُ مِنْ إِنْفَازِ حُكْمِهِ، أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لَا مُحَالَةَ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فَهَمُ بِهِ يُكْذِّبُونَ.

اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِالْأَحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، فَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِحْيَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَلَا إِمَاتَتُهُمْ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ مَصِيرُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَيُجَازِيهِمْ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَتَاكُمْ قُرْآنٌ مِنْ رَبِّكُمْ يَأْمُرُكُمْ وَيُزْجِرُكُمْ، وَيُرَقِّقُ قُلُوبَكُمْ، وَدَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالشَّبُهَاتِ، وَهَدًى لِلْحَقِّ، وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فَهَمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهِ.

قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ: - بِالْإِسْلَامِ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَهَدَاكُمْ إِلَيْهِ، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ رَحْمَةً مِنْهُ فَاسْتَفَنَدْكُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ فَلْيَفْرَحُوا، لَا بَزِينَةَ الدُّنْيَا، فَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُ النَّاسُ مِنْ مَتَاعٍ وَأَمْوَالٍ.

قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ - لِلْمُشْرِكِينَ: أَخْبِرُونِي عَنِ الرِّزْقِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَجَعَلْتُمْ بَعْضَهُ حَرَامًا، وَبَعْضَهُ حَلَالًا، اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ بِهَذَا، أَمْ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ؟

وما ظنُّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ أَيْحَسِبُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْقِبُهُمْ؟ إِنَّ اللَّهَ لَصَاحِبُ تَفَضُّلٍ عَلَى النَّاسِ بِنِعْمِهِ الْكَثِيرَةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى.

وما تكون -يا مُحَمَّدٌ- في عملٍ من الأعمال، وما تتلو من سورةٍ من القرآن، ولا تعملون -أيُّها النَّاسُ- من عملٍ، إِلَّا وَاللَّهُ مَطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ حِينَ تَأْخُذُونَ فِيهِ، وما يَغِيبُ عَنْ رَبِّكَ وَزُنْ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ فِي الْأَرْضِ أَوِ السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْبَرَ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، مَكْتُوبٍ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ.

أَلَا إِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِبَصَرِهِ وَمَحَبَّتِهِ، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا مَضَى.

وأولياءُ اللَّهِ هم الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَصَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بَلُزُومِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.

لأولياءِ اللَّهِ الْبُشْرَى فِي الدُّنْيَا كَالرُّوْيَا الصَّالِحَةِ، وَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ فَحَقٌّ وَاقِعٌ، لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ. وَمَا يُبَشِّرُ بِهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ، وَالنَّجَاةُ الْكَبِيرَةُ.

وَلَا يُحْزَنُكَ -يَا مُحَمَّدٌ- قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ، كَافِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَكَ، وَاسْتَهْزَائِهِمْ بِالْحَقِّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِجَمِيعِ الْعِزَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَهُ الْغَلْبَةُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ نَاصِرُكَ، وَمَانِعُكَ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، هُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ.

أَلَا إِنَّ اللَّهَ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالَّذِي يَتَّبِعُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي دَعْوَاهُمْ الشُّرَكَاءَ لِلَّهِ إِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ ظَنٍّ بِلَا دَلِيلٍ، وَهُمْ يَقُولُونَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ.

اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- اللَّيْلَ؛ لِتَسْتَرِيحُوا فِيهِ، وَجَعَلَ لَكُمْ النَّهَارَ مُضِيًّا تُبْصِرُونَ فِيهِ لِمَعَالِيكُمْ، وَقَضَاءَ حَوَائِجِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيَعُونُهَا، وَيَعْتَبِرُونَ بِهَا.

ادَّعَى الْمُشْرِكُونَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا كَمَا قَالَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ! وَقَدْ تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ، وَعَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَهُ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَكَيْفَ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، أَوْ يَتَّخِذُ مِنْهُمْ وَلَدًا؟! وَكَيْفَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ-؟! قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ-: إِنَّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ فَيَنْسُبُونَ إِلَيْهِ الْوَلَدَ، لَا يَفُوزُونَ، وَلَا يَنْجُونَ.

إِنَّمَا يَتَمَتَّعُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ مَصِيرُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، ثُمَّ يُذِيقُهُم الْعَذَابَ الشَّدِيدَ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِالْحَقِّ.

وَأَقْرَأْ -يَا مُحَمَّدٌ- عَلَى الْمُشْرِكِينَ خَبَرَ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ، حِينَ قَالَ: يَا قَوْمِي، إِنِّي شَقَّ عَلَيْكُمْ لُبِّي بِبَيْنِكُمْ، وَوَعَظِي إِيَّاكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَعَزَمْتُمْ عَلَى إِيذَائِي -فَعَلَى اللَّهِ اعْتَمَدْتُ؛ فَهُوَ يَنْصُرُنِي، وَيَمْنَعُ أَذَاكُمْ عَنِّي، فَأَعِذُّوا أَمْرَكُمْ، وَاعِزُّوا جَمِيعًا عَلَى إِيذَائِي، وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِإِعَانَتِكُمْ، ثُمَّ لِيَكُنْ أَمْرُكُمْ ظَاهِرًا غَيْرَ مُلْتَبَسٍ، ثُمَّ أَنْفِدُوا قَضَاءَكُمْ، وَافِرُّوا مِنْ أَمْرِي، وَلَا تُمْهَلُونِي.

قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَمْ أَطْلُبْ عَلَى تَبْلِيغِهِ مَا لَا مِنْكُمْ، وَمَا ثَوَابِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ سِوَاءَ قَبْلَتُمْ الْحَقَّ أَمْ

توليئتم عنه، وقد أمرني أن أكون من المستسلمين له، المنقادين له، وأنا مُمتثلٌ ذلك.

فكذب نوحًا قومه، فنجّيناه والمؤمنين معه في السفينة من الغرق، وجعلناهم خلّيف في الأرض، وأغرقنا قوم نوح؛ لتكذيبهم بالحق، فانظر -يا محمّد- كيف كان آخر أمر القوم الذين أنذرهم نوح عقابنا؛ أهلكناهم.

ثم أرسلنا من بعد نوح رسلًا إلى قومهم، فجاءوهم بالدلائل الواضحة على صدقهم، فما كان المشركون ليؤمنوا بالحق؛ بسبب تكذيبهم به حين جاءهم أول مرّة، كذلك نطبع على قلوب المجاوزين الحدّ بالشرك، وتكذيب الرسل، فلا يؤمنون؛ عقوبة لهم.

ثم أرسلنا بعد الرسل الذين جاؤوا عقب نوح، موسى وهارون إلى فرعون والأشراف من قومه بمُعجزاتنا الواضحة، فاستكبروا عن اتباع الحق؛ وكانوا أصحاب ذنوب كبيرة وآثام عظيمة.

فلما جاءتهم المُعجزات التي أيّدنا بها موسى، قالوا: إنّ هذا الذي جاء به موسى لسِحْرٌ ظاهرٌ!

قال موسى: أتقولون عن المُعجزات التي جنّثكم بها: إنّها سِحْرٌ مُبينٌ؟! ولا ينجو السّاجرون، ولا يفوزون.

قالوا: أجنّثنا -يا موسى- لتصرفنا بسِحْرِكَ عن ديننا الذي وَجَدنا عليه آباءنا، ولتكونَ لكما عظمةُ الملّك، وعِزُّ السُّلطان في الأرض؟! وما نحنُ لكما -يا موسى وهارون- بمؤمنين.

وقال فرعون: أحضروا إليّ من المدائن كلّ ساحرٍ ماهِرٍ بالسِّحر.

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى: اطْرَحُوا مَا تَرِيدُونَ طَرَحَهُ، مِمَّا مَعَكُمْ مِنْ حِبَالٍ وَعِصِيٍّ.

فَلَمَّا أَلْقَى السَّحَرَةُ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، قَالَ لَهُم مُّوسَى: الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ مِنَ السِّحْرِ، إِنَّ اللَّهَ سَيُذْهِبُهُ، وَيُظْهِرُ بَطْلَانَهُ لِلنَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ أَعْمَالَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي أَرْضِ اللَّهِ بِمَا يَكْرَهُهُ كَالسَّحَرَةِ.

وَيُتَبِّتُ اللَّهُ الْحَقَّ، وَيُوضِّحُهُ وَيُظْهِرُهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، بِكَلِمَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ، وَكَلِمَاتِهِ النَّزِيلِيَّةِ الَّتِي يُوحِيهَا إِلَى رَسُولِهِ، وَإِنْ كَرِهَ الْعَصَاةُ الْإِيمَانَ ذَلِكَ.

فَلَمْ يُصَدِّقْ بِمُوسَى، وَيُقَرَّرْ بِنُبُوَّتِهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ أَوْلَادِ قَوْمِهِ، وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِم -الَّذِينَ كَانُوا عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ- أَنْ يَصْرِفَهُمْ فِرْعَوْنُ عَنْ الْحَقِّ، بِمِحْنَةٍ يُوقِعُهَا عَلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ لَجَبَّارٌ، مُتَكَبِّرٌ عَلَى الْحَقِّ وَالْخَلْقِ، وَمِنْ الْمُسْرِفِينَ.

وَقَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَا قَوْمِ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ حَقًّا فَاعْتَمِدُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي نَصْرِكُمْ، وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُذْعِنِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ.

فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ اعْتَمَدْنَا، رَبَّنَا؛ لَا تَنْتَصِرِ الْكَافِرِينَ عَلَيْنَا، فَيَفْتِنُونَا عَنْ دِينِنَا أَوْ يَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ.

وَخَلَّصْنَا بَرَحْمَتِكَ مِنْ بَطْشِ وَسُلْطَانِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ أَنْ اتَّخِذَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ مِصْرَ مَسَاكِينَ، وَاجْعَلُوها مَسَاجِدَ تُصَلُّونَ فِيهَا، وَأَدْوَا مَا

أَمَرَكَمُ اللَّهُ مِنَ الصَّلَوَاتِ كَمَا يَنْبَغِي، وَبَشِّرْ -يا موسى- الْمُؤْمِنِينَ
بِالنَّصْرِ وَالتَّوَابِ.

وَقَالَ مُوسَى: رَبَّنَا إِنَّكَ أَعْطَيْتَ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافَ قَوْمِهِ زِينَةً،
وَأَمْوَالًا فِي الدُّنْيَا؛ اسْتَدْرَاجًا مِنْكَ لَهُمْ؛ فَيُضِلُّوا وَيُضِلُّوا غَيْرَهُمْ؛
عَقُوبَةً مِنْكَ لَهُمْ، يَا رَبَّنَا أَتْلُفُ أَمْوَالَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ، وَاطْبَعُ عَلَى
قُلُوبِهِم بِالْكَفْرِ، فَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُعَايِنُوا الْعَذَابَ الْمُؤْلِمَ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ
إِيمَانُهُمْ حِينَئِذٍ.

قَالَ اللَّهُ: قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَكُمْ -يا موسى وهارون- فَاسْتَقِيمَا
وَاثْبُتَا عَلَى دِينِكُمَا، وَاسْتَمِرَّا عَلَى دَعْوَةِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِلَى
الْحَقِّ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ، وَلَا تَسْلُكَا طَرِيقَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ أَنَّ
اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَيَسْتَعْجِلُونَ وَعَيْدَهُ وَقَضَاءَهُ.

وَقَطَعْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ عِنْدَمَا خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ مَعَ
مُوسَى، فَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ؛ اسْتِعْلَاءً عَلَيْهِمْ وَاعْتِدَاءً، حَتَّى
إِذَا أَحَاطَ الْغَرَقُ بِفِرْعَوْنَ قَالَ: أَقْرَرْتُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي
أَمَنَ بِهِ قَوْمُ مُوسَى، وَأَنَا مِنَ الْمُنْقَادِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ.

قَالَ اللَّهُ لِفِرْعَوْنَ: الْآنَ تَتُوبُ، وَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَتَسْتَغْلِبُ لَهُ بَعْدَ
فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَقَدْ عَصَيْتَهُ قَبْلَ نَزُولِ عَذَابِهِ، وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعِبَادَ، وَأَضَلُّوهُمْ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ؟!

فَالْيَوْمَ نُنَجِّي بَدَنَكَ، فَيَتَّبِعِينَ لِلنَّاسِ هَلَاكُكَ؛ لِتَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكَ
مِنَ النَّاسِ عِبْرَةً، فَيَنْزَجِرُوا عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّ كَثِيرًا
مِنَ النَّاسِ مُعْرِضُونَ عَنِ النَّفْكَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِعْتِبَارِ
بِهَا.

ولقد أنزلنا وأسكننا بني إسرائيل منازلَ حَسَنَةً مَحْمُودَةً،
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، فَمَا اخْتَلَفُوا فِي الْإِقْرَارِ بِنُبُوءَةِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَنْ بُعِثَ، وَجَاءَهُمُ الْقُرْآنُ،
فَاخْتَلَفُوا حِينَئِذٍ؛ فَأَمَّنَ بَعْضُهُمْ، وَكَفَرَ بَعْضُهُمْ، إِنَّ رَبَّكَ -يَا
مُحَمَّدُ- سَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ بَكَ الْجَنَّةَ،
وَيُدْخِلُ الْمَكْذِبِينَ بِكَ النَّارَ.

فَإِنْ كُنْتَ -يَا مُحَمَّدُ- فِي شَكٍّ مِمَّا أَخْبَرْنَاكَ مِنْ أَنَّ بَنِي
إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أَمْرِكَ إِلَّا بَعْدَ مَجِيئِكَ فَاسْأَلْ أَهْلَ الْكِتَابِ
الَّذِينَ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِكَ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ صَحَّةَ
ذَلِكَ، أَقْسِمُ إِنَّهُ قَدْ جَاءَكَ -يَا مُحَمَّدُ- الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ بِأَنَّكَ رَسُولُ
اللَّهِ، وَأَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الشَّاكِّينَ.

وَلَا تَكُونَنَّ -يَا مُحَمَّدُ- مِنَ الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، فَتَكُونَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ أَنْفُسَهُمْ بِدُخُولِ النَّارِ، الْمُضِيِّعِينَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

إِنَّ الَّذِينَ وَجِبَتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- بِأَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ
عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَوْتِ عَلَيْهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ إِيْمَانًا يَنْفَعُهُمْ قَبْلَ مَوْتِهِمْ.
وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ كُونِيَّةٍ مُعْجِزَةٍ، أَوْ آيَةٍ شَّرْعِيَّةٍ مُنْزِلَةٍ،
فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُعَابِنُوا الْعَذَابَ الْمَوْلَمَ فَيُؤْمِنُوا، وَلَا يَنْفَعُهُمْ
ذَلِكَ.

مَا آمَنَ أَهْلُ قَرْيَةٍ مِنَ الْفُرَى الْهَالِكَةِ فِي وَقْتٍ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ
فِيهِ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ، آمَنُوا كُلُّهُمْ فِي وَقْتٍ يَنْفَعُهُمْ فِيهِ الْإِيْمَانُ، حِينَ
رَأَوْا آيَةً تَدُلُّ عَلَى الْعَذَابِ قَبْلَ نُزُولِهِ بِهِمْ، فَلَمَّا آمَنُوا رُفِعَ عَنْهُمْ

عَذَابِ الدُّلِّ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَمُتَّعُوا فِي الدُّنْيَا إِلَى نَهَايَةِ أَعْمَارِهِمُ الْمَكْتُوبَةِ.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَأَمَنَ كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ؛ لِمُخَالَفَتِهِ مَقْتَضَى حُكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، أَفَأَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ- تُلْزِمُ النَّاسَ بِأَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ، وَلَا قُدْرَةٌ لَكَ عَلَيْهِ.

وَمَا يَنْبَغِي لِنَفْسٍ أَنْ تَوْمِنَ بِالْحَقِّ إِلَّا إِذَا أَدْنَى اللَّهُ بِذَلِكَ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ غَضَبَهُ وَعَذَابَهُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ آيَاتِهِ، وَحُجَجَهُ، وَمَوَاعِظَهُ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَقْتَرِحُونَ إِنْزَالَ بَعْضِ الْمَعْجَزَاتِ: أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ، وَفِي الْأَرْضِ، فَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ وَاعْتَبَرُوا، فَهُوَ يُغْنِيكُمْ عَنْ طَلَبِ الْمَعْجَزَاتِ، وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ، وَالْإِنْذَارَاتُ قَوْمًا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَذَابِ، إِلَّا مِثْلَ مَا وَقَعَ لِلْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، الْمَكْذِبَةِ لِرُسُلِهَا؟ قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدُ-: فَانْتَظِرُوا عَذَابَ اللَّهِ، إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ مَا يَحُلُّ بِكُمْ.

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الْوَاقِعِ عَلَى قَوْمِهِمْ، وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، حَقًّا وَوَعْدًا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَا يُخْلَفُ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ صِحَّةِ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ؛ لِيُجَازِيَكُمْ، وَأَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَكُونَ مِنْ جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَرَنِي اللَّهُ بِقَوْلِهِ: أَقِمْ نَفْسَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَاسْتَقِمَّ عَلَيْهِ
مُخْلِصًا لِلَّهِ، مَائِلًا عَنْ كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.

وَلَا تَعْبُدْ -يَا مُحَمَّدٌ- مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ إِنْ عِبَدْتَهُ، وَلَا
يُضُرُّكَ إِنْ عَصَيْتَهُ، فَإِنْ عَبَدْتَ غَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّكَ مِنَ الظَّالِمِينَ
لَأَنْفُسِهِمْ بِالشِّرْكِ.

وَإِنْ يُصِيبُكَ اللَّهُ -يَا مُحَمَّدٌ- بَبَلَاءٍ فَلَا يَكْشِفُهُ عَنْكَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ،
وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ لَكَ الْخَيْرَ فَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى رَدِّ فَضْلِهِ، يُصِيبُ اللَّهُ
بِالضَّرِّ وَالْخَيْرِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْغَفُورُ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، الرَّحِيمُ
بِهِمْ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ-: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ جَاءَكُمْ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ،
فَمَنْ اتَّبَعَهُ، فَإِنَّمَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ، فَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ
وَمَا أَنَا بِحَفِيزٍ عَلَيْكُمْ حَتَّى أَحْفَظَ أَعْمَالَكُمْ وَأَحَاسِبَكُمْ عَلَيْهَا.
وَاتَّبِعِ الْقُرْآنَ -يَا مُحَمَّدٌ-، وَاصِرْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِ، وَعَلَى
أَذَى الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَاللَّهُ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ بِالْعَدْلِ.

تُبَيِّنُ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمَقْطَعَةُ، إِعْجَازَ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهِرُ
عَجْزَ الْخَلْقِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمَثَلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ
الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا!

وَقَدْ أَنْقَرَنَ اللَّهُ آيَاتِ الْقُرْآنِ فَلَا خَلَلَ فِيهَا وَلَا بَاطِلَ، ثُمَّ بَيَّنَّتْ
بِالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْعَادِلَةِ، وَذَلِكَ مِنْ حَكِيمٍ فِي تَدْبِيرِ
الْأَشْيَاءِ وَتَقْدِيرِهَا، خَبِيرٍ مُطَّلِعٍ عَلَى الْبُؤَاطِنِ، وَعَوَاقِبِ الْأُمُورِ.

أَحْكَمَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ ثُمَّ فُصِّلَتْ؛ بَأْنَ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ -أَيُّهَا النَّاسُ-، وَقُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: إِنَّنِّي أَخَوْفُكُمْ عِقَابَ اللَّهِ، إِنْ كَفَرْتُمْ بِهِ وَعَصَيْتُمُوهُ، وَأُبَشِّرُكُمْ بِثَوَابِ اللَّهِ، إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ وَأَطَعْتُمُوهُ. وبَأْنَ تَطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّكُمْ، ثُمَّ تَتُوبُوا إِلَيْهِ، فَإِنْ قَمْتُمْ بِذَلِكَ، يُمَتِّعْكُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى حُضُورِ أَجَلِكُمْ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي إِحْسَانٍ أَجْرَهُ وَثَوَابَهُ، وَإِنْ تُعْرِضُوا عَنْ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ شَأْنُهُ، عَظِيمٌ هُوَ

إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ مَصِيرُكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ، فَلَا يُعْجِزُهُ بَعْثُ عِبَادِهِ، وَمُجَازَاتُهُمْ. إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَظُنُّونَ -جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللَّهِ- أَنَّ ثَنِيَّ صُدُورِهِمْ يَحْجُبُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا يُخَفُونَهُ فِيهَا! إِنَّ اللَّهَ -حِينَ يَتَغَطَّى الْمُشْرِكُونَ بِثِيَابِهِمْ- يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَهُ وَمَا يُعْلِنُونَهُ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِي صُدُورُ عِبَادِهِ.